

حوار عبر الهاتف، سالت الروائي عز الدين شكري فشير (1966): «لماذا ترفض الحوارات الصحافية بعد صدور روايتك الجديدة «كل هذا الهراء» (الكرمة للشئ)؟. ضحك قبل أن يجيب: «أشعر بأن هناك دائماً اساءة فهم. نقول: «أهلك»، يقولون: «ياس!». لم يبقَ سوى أن أشرح رواياتي للقراء فقرة فقرة!» أمام إصراره، اقترحت أن يتوسط لحوار بطلي روايته الجديدة. عمر فخر الدين واهل مفيد. الاثنان يتبادلان الحكايات طوال الرواية كأننا امام شهرزاد وشهريار محبريين. لكن بعد تبادل الادوار

حوار مع بطلة رواية عز الدين شكري فشير

■ كان عمر فخر الدين عديماً، أو مكذباً بدا

من خلال سرد عز الدين فشير، ما الذي جذبك إليه رغم التناقضات التي تبدو بينكما؟

الفخر والسجن. لم أكن بكامل وعيي حين بدأنا الحديث في الحلقة، وبعدما كنت ثملة تماماً. حين انتهت الحلقة، لم أكن قادرة على العودة إلى البيت، وهو الذي قرر توصيلي بالناكسي الذي سمعه. ولا أندري ماذا حدث بعدها بالضبط حتى استيقظنا، يعني أدري ما حدث، لكن ليس بالتفصيل. هناك بعض الصور في ذهني، لكن ليس شريطاً متكاملًا لأحداث. عندما استيقظنا، كانت لحظة الاختيار الحقيقية، ساعتها كان يمكن أن اصمت تماماً وادعه يرحل أو اطلب منه الرحيل. وقد أوشكت على فعل ذلك، لكن عندنا ادركت أنني لا أريد البقاء وحدي هذه الساعات التي تفصلني عن الطائفة. وايضا اردت استكمال ما بدأناه وأنا في غير وعيي، لكن بوعي هذه المرة. أعجبني، جنسياً، وأنا خارجة من السجن ومن سنوات من الارتياك والتعقيد، ووجدت في بساطته ما شعرت بالاحتياج إليه ساعتها بالضبط. كذلك فإني لم أفكر كثيراً، كان الأمر عفويًا. لكنني حين فكرت بعدها، وجدت أن هذه هي الأسباب.

■ يكرر عمر طوال حكايتكما أنّ «الأيام الخرا فإيتهاه النوم»، ليس النوم تقبضاً للنوثة التي تؤمّن بها؟

نعم. ولا النوم نقض الفعل في معظم الأحوال. لكن أحياناً تكون هذه المقولة صحيحة ويكون النوم. وغياب الفعل خرائفية لا يفيد معها الفعل، حتى في النوثة. هناك فترات لا يجدي فيها الكلام ولا الفعل لأن الناس مندفعون كالموجة الهادرة في اتجاه لا يفهم ردهم عنه. ساعتها، نتحدث عن غطاء تخنبي تحته حتى تمر الموجة. منكنتي مع عمر أنه حافظ لا فاهم. قرر أن النوم هو الحل، فنام وأغلق عينيه عن الفرص التي تتفتح أمامه. بالفعل مقلماً «خلطهم يتحسوم» كما قال الرئيس مبارك. لكن ما حدث عن رؤية ما يمر أمامك، وهذا ما حدث للجميع تخلّلت وماعت وانهارت.

حيث يتولاه عمر الحكيم... حكايات عن الثورة المصرية ومضامير بعض صانعيها.

لم يستجب عمر كما توقعنا. بينما وافقت أهلك على الحوار. عمر غير ناشط على مواقع التواصل الاجتماعي، على العكس من أهلك مفيد التي تقدم نفسها بكلمات تدل على شخصيتها الصدامية، «أنا بطلة» رواية «كل هذا الهراء»، فاجرة: اقول الحق واكره التعريض». تقيم في العاصمة الاميركية واشنطن بعدما قضت عاماً في سجون مصر في

أهلك مفيد: مصر ستخرج من «كل هذا الهراء»



وستظل توابع هذا الانفجار، تتوالى حتى نجد طريقة لبناء شيء جديد يتوافق والحالة الجديدة. هزماً لأن البلد كان في أيدينا وضاع، الحلم يعود والواقع ونجد أنفسنا من جديد قارين على تحقيقه. لكن هذا حين نفهم أخيراً أن أمر الله غالب، إن لن يحدث من تلقاء نفسه. سيحدث أن نخلى عن ضميرنا لأننا نحلّم بغيره. أن علينا جزّ الحلم من الخيال ورزعه في الواقع. رزعه وسط الواقع ورعايته والحفاظ عليه كي لا ناكله تفاصيل بل في الواقع لن يخفي، ولا بعد

عشرات السنين. الحلم، الصورة التي نحملها في أذهاننا، ستكبر وتتمدد وتصيغ الواقع بشكلها شيئاً فشيئاً، لكنها لن تزيله تماماً وليس فجأة، ولا بنحورة ولا حتى ببركان. سنظل هناك أشياء لا نحبها، وأناس لا نحب سلوكهم ومعتقداتهم، وظروف

ويبدأ من أن نحكم هذا البلد ونقوده نحو الحلم، انتهى بنا الأمر قتلى، أو مساجين، أو نائمين، أو في المنفى. وخرجت أشباح الماضي كلها من قمامتها وأصبحت تتصارع على البلد وعلى مستقبلنا. هذه هزيمة لا ريب فيها.

«ألف ليلة وليلة» مصرية بانسة

صلة بوالده) ليكتبها في رواية، فكتبها مع نداء «لأصحاب القلوب الضعيفة والأحاسيس الخلقية الدينية والوطنية المرهفة ألا يقرأوا هذه الرواية. قراءة هذه الرواية ليست عملاً إجبارياً، بل اختيار جنسيتها المصرية لتعود إلى أميركا. قبل رحيلها ساعات، تلقى بعمر فخر الدين شاب مصري محيط ويانس يحكي لها حكايات عن شخصيات فشير «سرداً لأحداث الثورة، بل حاولت أن تضع يداه على الحالة العامة للجيل الذي نتحدث عنه، وتحوار الإمساك بما يعانيه وما يذور في ذهنه، من غضب ومن إحباط ومن شكوك عميقة ومن صراعات وتخبّط».

كلمات

«قضية التموليات الأجنبية لمنظمات المجتمع المدني»، وتخرجت من السجنت بعد أن يطالبوها بالتنازل عن الجنسية المصرية وتضطر للعودة إلى أميركامة أخرى. في نهاية الحوار الذي حصل عبر البريد الإلكتروني، سالتها: «يرى بعضهم أنك شخصية خيالية؟ مجرد شخصية روائية لا تملك مصيرها استخدمها فشير للتعبير عن أفكاره. شخصية مهزومة ربماهناك شخصيات واقعية ساهمت في هزيمة الثورة؟». أرسلت ضحكاتها قبل أن تجيب: «أنا أتلقى الهزائم لكني لسنت شخصية انهزامية.

كلمات

قبول الهزيمة. الهزيمة كالنصر بالضبط. وكى ينتصر طرف، يجب هزيمة طرف. وبالتالي يجب تقليل الدراما المصاحبة للهزيمة، وقبولها. ثالثاً يجب تقبل نتائج الهزيمة. الاستعجاب والمكابرة والعند وهراء «رفض الهزيمة» هي حالة من إنكار الواقع لا تفيد صاحبها أبداً، مهما قال وحاول إعادة صياغة الموضوع. إذا خسرت، عليك دفع ثمن خسارتك، سواء أكان معك حق أم لا. وهذا معناه أن تعيد حسابات المستقبل اعتباراً من النقطة التي وصلت إليها لا من الهزيمة. لا يمكنك تغيير الماضي. قد يمكنك تغيير المستقبل، لكن الماضي مرّ وأوصلك إلى حيث نقف، ركز إننّ على الخطوة القادمة من حيث نقف (لا من حيث نستحق الوقوف). وهذا هو مفتاح التعامل مع الهزيمة.

■ لماذا وافقت على اقتراح عمر بأن يكتب حكايتكما عن الدين فشير؟ كان مبرره أنه يرتبط بعلاقة صداقة بأبيه. هل كانت هذه المعرفة كافية لم لأنّ عز سبق أن كتب «باب الخروج» التي يتبنا فيها بما جرى الثورة في ما بعد؟

لا أعرف فشير هذا، ولم أقرأ له من قبل. عمر قال إنه يعرفه، ولو كان يعرف أي شخص آخر، لشجعته. حكايتنا لا تحتاج روايتنا موهوباً. تحتاج فقط لنخسّ لديه الشجاعة لنقلها بامانة، وعمر قال إنه فعل ذلك من قبل مع أبيه. خوفي كله كان تراجع عمر عن فكرة نشر الحكاية، وهو ما كان أن يفعلها بعد سفرى، لكنني أرسلت أهدده على حماية الحلم كي يواصل النخو والاننتشار.

ان نخلى عن منهج الاستشهاد والنصرة النبيلة ونخبنا منهج النصر المتراكم، الانتصارات ولو صغيرة، لكن متراكمة خير وأبقى من هزائم ولو نبيلة.

■ كيف إنن يمكن التعامل مع الهزيمة؟ أولاً، اعترف بها ولا تكابر. ثانياً تحاول فهم أسبابها من دون دراما وعمر، وتناقشا سوياً فيها وادخلنا تعديلات عديدة لأنه أحياناً أخطأ مع صديقي عمر السوداوي الكتيب راسي، أو عمر هو الذي أخطأ في نقل هذه المشاعر له لكني راجعت كل هذا وأرسلت له التعديلات واحترمها كلها.

■ هل كان فشير مخلصاً لحكايتكما؟ ما أظن ذلك، لكن ما لفت نظري ليس الإخلاص أو عدمه، بل كيف أصبحت قصتنا رواية عندما وضعت تفاصيلها معاً. الحقيقة أنني حين قرأتها، فوجئت. الويتك إنند الذي قضيته مع عمر كان لطيفاً، وأراحتني ناسياً وجسدياً وساعديني على الخروج من مصر، كاتني غسلت جسمي وروحي مما علق بها أثناء هذه السنونات. لكنني لم أنظر لهذا الويتك إنند باعتباره رواية، لم أشعر بأنه رواية إلا عندما قرأتها «على بعضها»، وبالترتيب وبالمرج الذي قام به فشير. ومن ساعتها وأنا أسأل نفسي كم مرة عشت ما يمكن أن يصيغ رواية ولم لاحظ. وكم شخصاً يعيش تجارب تصلح للرواية، لكنها تظل حبيسة تجربته الشخصية؟ ربما

أبو الروحي الشاعر محمود درويش، منه تعلم كيف تكون اللغة كاشفة. أما أساتذته في الرواية، فكتيرون. ربما كان

مراكز أبرهزم، منه تعلم أن تكون الجملة الأولى للعمل مثل

«رصاص» حتى لا يتشغل القارئ بالحدوثة بقدر اشتغاله

ببناء، العمل الفني وتقنياته وشخصه. السرد التقليدي بالنسبة إليه خداع القارئ، منذ البداية، يكشف له ما يريد

أن يقوله، لكنه يراهن بعد ذلك على «المتعة» باعتباره غاية

الكتابة الكبرى. عز الدين شكري فشير (1966) ليس فقط

روائياً أصدر سبع روايات، وصلت اثنتان منها إلى جائزة

«بوكر» «غرفة العناية المركزة» إلى القائمة الطويلة في الدورة

الأولى للجائزة، وعناق عند جسر بروكلين» إلى القائمة

القصيرة (2011). هو أيضاً أستاذ العلوم السياسية،

ودبلوماسي عمل في الخارجية المصرية لسنوات، قبل

أن يطلب الحصول على إجازة مفتوحة، وهو أيضاً محلل

سياسي، وكاتب مقال. سافر إلى أميركا للعمل في إحدى

جامعاتها أستاذاً للأدب العربي منذ عام «لأن الملل كان

يقتلني في القاهرة» كما قال.

التعدد إذاً أبرز سماته، لكنه يؤمن «بأن مقعد الروائي أهم

بكثير من مقعد السياسي». على مستوى الكتابة، نجد

بالعكس. أنا اري النصر بعيني، لكنه في الاصف. ادرك أبي هزيمته مع من هزموا. لأننا جماعة واحدة، لكني لسنت انهزامية إطلاقاً. بالعكس، تهمني الأساسية أبي متفائلة ومثيبة الصلة بالواقع. أما عن كونى شخصية خيالية، فليس أدري ما الفارقة أن أكون خيالية أو حقيقية. هك «سي السيد» شخصية خيالية أم حقيقية؟ ماذا يرضى من الشخصيات الحقيقية غير الصورة والذكرى؟».

القاهرة.. محمد شمير

«كل هذا الهراء»

أريد إضاعة وقتي فيه.

■ رواية فشير السابقة «باب الخروج» أعطاما عنواناً فرعياً «رسالة علي الفعمة ببهجة غير متوقّعة». يرى بعضهم أن لهجة لم تكن إلا في العنوان فقط، بينما هو مولع بالديستوبيا؟

بل بطل رئيسي تقريباً. خطوط البطولة التي يحفظها السرد التقليدي لا يمكن البحث عنها في أعمال فشير... من وجهة نظره، «لا أحد يلعب دور البطولة من البداية إلى النهاية، وليس هناك حكاية واحدة في الحياة. هناك حكايات عديدة، لكل منها أبطالها ولكل حكاية زاوية وإبطال وتفاصيل».

أعماله الأخيرة، يراها بعضهم متشائمة. أو تعبيراً عن ديستوبيا مصرية، لكنه، شخصياً، متفائل لأنه على اقتناع بأن ما جرى من تغيير حقيقي وعميق ولا يمكن هزيمته. يوضح: «لنرّ ما جرى في فرنسا 68. لم يحكم الشباب، بل جاء، يدخل في شيء انقلاب عسكري. لكن الثورة أعادت صياغة المجتمع. ما جرى في أميركا أيضاً في الستينيات، لم يرحل نيكسون، ولكن حركة الشباب أيضاً غيّرت أميركا، قضت على سياسة الفصل العنصري. هذا النوع من التغيير لا يمكن الوقوف في وجهه. ولكن التفاؤل محكوم بالمعلم الجاد!».

الكتابة من خلفية دبلوماسية

أنفسنا في كل رواياته أمام حدث، يتعدد رواته. يقول: «كل يرى حسب زاوية نظره، وموقعه، بل حسب انعكاس الضوء، وحسب الوقت الذي تنظر فيه إلى الحدث». روايات بلا بطل رئيسي تقريباً. خطوط البطولة التي يحفظها السرد التقليدي لا يمكن البحث عنها في أعمال فشير... من وجهة نظره، «لا أحد يلعب دور البطولة من البداية إلى النهاية، وليس هناك حكاية واحدة في الحياة. هناك حكايات عديدة، لكل منها أبطالها ولكل حكاية زاوية وإبطال وتفاصيل».

أعماله الأخيرة، يراها بعضهم متشائمة. أو تعبيراً عن ديستوبيا مصرية، لكنه، شخصياً، متفائل لأنه على اقتناع بأن ما جرى من تغيير حقيقي وعميق ولا يمكن هزيمته. يوضح: «لنرّ ما جرى في فرنسا 68. لم يحكم الشباب، بل جاء، يدخل في شيء انقلاب عسكري. لكن الثورة أعادت صياغة المجتمع. ما جرى في أميركا أيضاً في الستينيات، لم يرحل نيكسون، ولكن حركة الشباب أيضاً غيّرت أميركا، قضت على سياسة الفصل العنصري. هذا النوع من التغيير لا يمكن الوقوف في وجهه. ولكن التفاؤل محكوم بالمعلم الجاد!».

■ من موقع في قلب المؤامرة التابض. هل تتابعين الأوضاع في مصر؟
أتابعها يومياً أكثر من مرة. ادخل على مواقع صحفتين، ربما ثلاث أو أربع مرات، واتصفح فايسبوك وتويتر، وأتابع ما يحدث وما يقوله الناس، لكنني لا أشاهد التلفزيون قط، ولا في أميركا بالمناسبة. كلما تابعت، شعرت بأن مصر ومن فيها يرحلون في الاتجاه المعاكس للتاريخ. حتى عمر وأصدقاؤه، كان لعنة ما أصابت الجميع، حتى الذين ثاروا في يناير ونادوا بالحرية والمساواة ارتد كثير منهم إلى ترهات لا تصدق.

■ لماذا يظن بعضهم أن المصريين ليسوا مهينين لممارسة الديمقراطية؟ أو باختصار كما قال بعض المسؤولين أثناء ثورة 25 يناير (But When)؟ يرى آخرون أنه لا يجب الحديث عن الديمقراطية، بينما نحن مشغولون بمعرفة عدد الإرهاب فما رأيك؟

■ لا أحد منها خمد الديمقراطية. الممارسة هي الطريقة الوحيدة للتعلم. البلاد التي سارت في هذا الدرب، سارت فيه بخطوات. لم تكن الديمقراطية أميركا – عند الثورة الأمريكية – عظيمة، لكنها تحسنت مع الوقت، ومع وجود عبوب ودرات متكررة. ونفس الشيء في كل البلاد الديمقراطية. لكن الممارسة تحسن القواعد وترسّخ وتطور مع الوقت المجائين فقط هم من يفتنون أن النظم الديمقراطية تولد كاملة لا شيء

■ ألا تخشين في حال العودة، من الانتقام بخدش الحياء، مما ظهر بوضوح في الرواية؟ فشير مجرد ناقل حكايات كما يقول في روايته؟

هذا جزء من الهراء الذي ساد البلاد. حين يكون خدش الحياء تهمة وازدراء الأدبان تهمة والمساس بهيبة مؤسسات الدولة تهمة والتعليق على الهبل مضر باصحابه. حين تعود إلى الاعتراف بأن الأشياء لها أسباب وأن التغيير يحتاج لوسائل. حين تعود للاعتراف بأن الخرافات لا تفيد.

■ ألا تخشين في حال العودة، من الانتقام بخدش الحياء، مما ظهر بوضوح في الرواية؟ فشير مجرد ناقل حكايات كما يقول في روايته؟

هذا جزء من الهراء الذي ساد البلاد. حين يكون خدش الحياء تهمة وازدراء الأدبان تهمة والمساس بهيبة مؤسسات الدولة تهمة والتعليق على الهبل مضر باصحابه. حين تعود إلى الاعتراف بأن الأشياء لها أسباب وأن التغيير يحتاج لوسائل. حين تعود للاعتراف بأن الخرافات لا تفيد.

■ هل أنت مقاتلة؟
أنا موقنة بأن مصر ستنتفض عن نفسها هذا الهراء، بطّ وبنّ؟

■ لماذا لم يجرأ عليك مفيد على مواقع التواصل، راجع موقعنا

■ لكن أحمد ناجي المتهم بخدش الحياء، يرى أن كتابة فشير كتابة فنية، وشخصياته في «كل هذا الهراء» أبداعية، وأنه كاتب إصلاحى لا ثوري، وأنه لم يكتب روايتكما أنت وعمر، بل رواية إيهامه من إصلاح المؤسسات؟

■ أنا لا أعرف هذا الشخص ولا أهتم لم رَج به فشير في روايتنا، ولا أعرف كيف يعطي شخص نفسه الحق في الكتابة عن أناس لا يعرفهم. لكن هذا جزء من الهراء الذي تركته خلفي ولا

■ هل لا يزال لديك أمل في النجاة نومه، وحين تنكسر موجة الهراء الحالية. حين تعود إلى الاعتراف